

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية

خلال الربع الاخير من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي

د.م.د. يوسف كاظم جفيل الشمري

د. عامر عجاج حميد الجنابي

كلية التربية للعلوم الانسانية

كلية التربية الاساسية

المقدمة

يعد موضوع العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية من المواضيع المهمة التي بحاجة الى دراسة معمقة؛ لحسم الاختلاف بين المؤرخين القائل بتقديم او بعدم تقديم الدولة العثمانية المساعدة العسكرية لسلطنة غرناطة، وبقي ذلك الاشتباك قائما بين المهتمين بدراسة المنطقة تاريخيا.

ويعتبر القرن الخامس عشر من القرون الحافلة بالحوادث التاريخية فقد اختلفت به خارطة العالم السياسية، فبنتهايته انتهى الوجود الإسلامي المتمثل بسلطنة غرناطة من الوجود، وبآخره اكتشف العالم الجديد من قبل كريستوف كولومبس، وبنتهايته ابتدأ ما يطلق عليه اصطلاح العصور الحديثة.

وكان من دواعي اختياري لموضوع البحث هو محاولة التعرف على الأوضاع والعلاقات السياسية بين هاتين الدولتين الاسلاميتين والتعرف على طبيعة العلاقة وأسبابها ونتائجها.

تم تقسيم البحث الى مبحثين، كان عنوان المبحث الأول هو: الحياة السياسية في سلطنة غرناطة، وتناولت فيه أوضاع غرناطة من حيث التسمية والموقع والتأسيس، ووسمت المبحث الثاني بعنوان: العلاقات السياسية بين غرناطة والعثمانيين، وعالجت فيه موضوع الاستجابات الموجهة من قبل الغرناطيين للسلطنة العثمانية.

واجهت الباحث بعض المشاكل وفي مقدمتها قلة المصادر الأصلية التي تتحدث عن تأريخ سلطنة غرناطة في هذه الحقبة ويعود السبب في ذلك الى الأسباب الذين قاموا بحرق اعداد كبيرة من الكتب التي تحمل في طياتها تأريخ الحقبة التي تناولها البحث؛ لذلك نجد ان بعض المصادر يتكرر ذكرها في الهامش، ومن المشاكل الأخرى هي ان تاريخ السلطنة خلال المدة الزمنية الممتدة بين عامي (820-886هـ/1417-1481م) غامضة لا تكاد المصادر او المراجع توضحها تماما؛ لذلك فقد حاول الباحث التوفيق بين ما ذكرته المصادر وما ذكرته المراجع، لا سيما ما ذكره الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه: نهاية الأندلس، الذي كان الاعتماد عليه أكثر من غيره من المراجع.

ومن المصادر الأخرى المهمة التي اعتمدها الباحث كتابين للمقري التلمساني(ت:1041هـ)، هما: (نفع الطيب من غسن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب)، وكتاب: (أزهار الرياض في أخبار عياض)، الأول منها كتاب أدبي أكثر منه تاريخي، إلا انه يحمل في طياته معلومات تاريخية عن تاريخ سلطنة غرناطة أفادت البحث في كل فصوله، والثاني قدم معلومات مهمة للبحث ولا سيما المبحث الثاني.

المبحث الأول

الأوضاع السياسية في سلطنة غرناطة

قبل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي

مرت سلطنة غرناطة Granada⁽¹⁾ بتاريخ حافل بالأحداث السياسية الجسيمة منذ تأسيسها سنة 635هـ/1237م، عندما دخلها أبو عبد الله⁽²⁾ محمد بن يوسف بن نصر⁽³⁾، ويعلل ابن خلدون⁽⁴⁾ قيام دولة ابن الأحمر⁽⁵⁾ بما يتفق ونظريته العصبية والدولة، إذ اعتمد ابن الأحمر على عصابة قليلة من قرابته الذين كانوا يسمون ب: الرؤساء، ولم يحتاج لأكثر منها، لقلّة العصابات في الأندلس، ويوضح ابن خلدون⁽⁶⁾ ذلك بقوله: ((فلا تظن انه [ابن الأحمر] تعبير عصابة فليس كذلك، وقد كان مبدأه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فأن وطن الأندلس لقلّة العصابات والقبائل فيه يستغني عن كثرة في التغلب عليهم)).

(1) غرناطة، Granada: بفتح اوله وسكون ثانية، ثم نون، وبعد الألف طاء مهملة، والبعض يسميها إغرناطة، وتعني الرمانة بلسان عجم الأندلس، وسميت بذلك لحسنها وجمالها، ويقال انها سميت لانها اقيمت على ارض الرمان، وتقع سلطنة غرناطة في المنطقة الجنوبية الشرقية من الأندلس، وتشتمل على ثلاث ولايات هي، ولاية غرناطة في الوسط، وولاية مالقة في الجنوب، وولاية المرية في الشرق، وللتعرف على تفاصيل اكثر حول المدلول اللغوي لغرناطة، وموقعها وحدودها وعدد الولايات التابعة لها. يراجع: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 53-55؛ ابن حزم، فضائل الأندلس واهلها، 56؛ الإدريسي، صفة المغرب وارض السودان، 201؛ الحموي، معجم البلدان، 1/244، 4/195؛ ابن سعيد، اختصار القدر المعلى، 2؛ المغرب في حلى المغرب، 1/93؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، 670؛ المكناسي، الاكسير في فكاك الاسير، 174؛ مؤنس، رحلة الأندلس، 167؛ عنان، الآثار الأندلسية 160.

Anwar,G, Historia De Espana, P.91-92 ,Fullard, Harold , Philips New School Atlas ,P. 34,Prescott , W., History of region of Ferdinand and Isabella, P.190.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، 2/336-337.

(3) محمد بن يوسف بن نصر: هو أبو عبد الله حميد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن عقيل بن نصر بن قيس بن سعد بن عبادة، ونصر هو الذي تسمى احيانا بأسمه دولة: (بني نصر)، ولد في ارجونة، وهو حصن من حصون قرطبة سنة 591هـ/1195م، ونشأ وترعرع في بيت نعمة وأصالة وشهرة وتحول من مهنة الفلاحة الى مهنة العسكرية، وأمل نفسه بالرئاسة، وعرف منذ صغره بالشجاعة والخشونة والطموح والصلابة، ويرجع نسبه الى قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج، يراجع: ابن عذاري، البيان المغرب، 2/336-337؛ ابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، 2/92-93؛ شرح رقم الحل في نظم الدول، 319؛ كناسة الدكان، 18، مقدمة المحقق؛ النباهي، نزهة البصائر والابصار، 11؛ القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، 5/260؛ المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود، 87؛ ابن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 2/140؛ عبد الله، جهاد بني مرين في الأندلس، 38؛ شبانه، باب الشريعة احدى مداخل الحمراء، 121.

(4) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، 1/298-299.

(5) ابن الأحمر: يسمى بهذا الاسم نسبة الى جده الذي يسمى ابن نصر ولقب بالأحمر لشقرة فيه، الا انه في المصادر الاسبانية يسمى: (بالبرميخو) ومعناه اللون البرتقالي الضارب الى الحمرة، وهو لون شعره. يراجع: حمودة، تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، 295؛ العبادي، الحياة الدينية والدينية في مملكة غرناطة، 13؛ عبد القادر، بنو الأحمر في غرناطة، 101.

(6) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، 1/298-299.

ويمكن القول بالرغم من صغر السلطنة التي أسسها السلطان محمد بن يوسف، إلا أنها استطاعت أن تبقى لمدة طويلة وتقاوم ضغط الممالك الإسبانية الشمالية، وأن تحافظ على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس زهاء قرنين ونصف من الزمان، علماً أن تأسيسها تزامن مع ازدياد اصرار وتصميم الإسبان في القضاء على المسلمين نهائياً واسقاط دولتهم. ولكي يضمن ابن الأحمر مؤسس الدولة بناء دولة واستمرارها في الوجود لجأ إلى مهادنة الإسبان، وذلك عندما حوصرت غرناطة من قبل ملك قشتالة⁽¹⁾ Gastile فرناندو الثالث Fernandoll (611-650هـ/1214-1252م)، الذي حاول جاهداً السيطرة عليها سنة 643هـ/1254م، ولكن بعد أن يأس من ذلك نتيجة المقاومة التي حصلت من قبل أهالي غرناطة⁽²⁾، ولكي لا يرجع دون تحقيق انجاز يذكر، فقد عمل على توقيع معاهدة بين الطرفين⁽³⁾، ويبدو أن تلك المعاهدة كانت من الصعوبة على ابن الأحمر تطبيقها والالتزام بها، فحاول التخلص منها عن طريق دفع جزية سنوية لملك قشتالة، أو مساعدته على اعداءه، إلا أن ملك قشتالة رفض ذلك، الأمر الذي أدى إلى تعاون سلطان غرناطة مع دولة بني مرين في بلاد المغرب العربي، والتي وصلت إلى أوج عظمتها أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني⁽⁴⁾، الذي وجد أن من جملة واجباته التدخل في بلاد الأندلس باعتبارها تابعة لدولة الإسلام، فطلب من الفونسو العاشر AlfonsoX (650-681هـ/1252-1282م) ملك قشتالة أن يسلم له الجزيرة الخضراء وجزيرة طريف Tarifa⁽⁵⁾، فعمل ابن الأحمر على استغلال الوضع المتأزم بين الإسبان وبين بني مرين، وامتنع عن دفع ما اتفق عليه مع الإسبان محتجاً بموقف العلماء والفقهاء في السلطنة مبيناً رغبتهم بعدم المثول لإسبانيا، فعمل على نقض المعاهدة المعقودة مع الإسبان⁽⁶⁾، وطلب المساعدة من المرينيين لمعاونته على الإسبان، وبالفعل تم تحقيق ذلك بانتصار القوة المشتركة من الغرناطيين والمرينيين⁽⁷⁾، وتكررت مرات العبور، وتحقيق انتصارات عديدة كانت نتيجتها أن وصلت القوات الإسلامية المشتركة إلى مشارف قرطبة Cordova⁽⁸⁾، فقتلوا كثيراً من الأعداء، وغنموا كثيراً من الأسلحة والأموال⁽⁹⁾، ولكن سرعان ما انقلب الأمر الأمر إلى صراع بين الغرناطيين، وبين بني مرين على منطقة الجزيرة الخضراء المهمة⁽¹⁰⁾، إضافة إلى ذلك فقد حدثت منافسات بين الطامعين في العرش الغرناطي، وحدثت تمردات عديدة على السلطة⁽¹¹⁾، أدت في كثير من الأحيان إلى

(1) قشتالة، Costile: هي من الأقاليم العظيمة في شمال الأندلس، عرفت بهذا الاسم لأن قاعدتها تسمى قشتالة، للمزيد من التفاصيل حول تكوين هذه المملكة وتطور نشأتها وموقعها الجغرافي والمناطق التابعة لها، يراجع: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 30/1-31؛ الحموي، معجم البلدان، 35/4؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، 417/2؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، 324-328؛ الحميري، الروض المعطار، 483؛ عنان، نهاية الأندلس، 538؛ عبد الحلیم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا، 203-204.

(2) ابن الخطيب، اللحة البدرية، 48.

(3) المقري، نفع الطيب، 509/2-510؛ عنان، نهاية الأندلس، 35-36.

(4) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 3/66-67.

(5) جزيرة طريف Tarifa: جزيرة على البحر المتوسط وهي مدينة صغيرة عليها سور تراب، يشقها نهر صغير، بينها وبين وبين الجزيرة الخضراء عشرة أميال. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 127.

(6) الصدفي، تاريخ دول الإسلام، 3/3.

(7) المقري، نفع الطيب، 448/1.

(8) قرطبة Cordova: وهي مدينة عظيمة وسط بلاد الأندلس، كانت سريراً لملكها وقصبتها، بينها وبين البحر خمسة أيام، وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان في نفس السور. الحموي، معجم البلدان، 324/4.

(9) الملزوزي، نظم السلوك، 97-98.

(10) ابن أبي زرع، الأتيس المطرب بروض القرطاس، 221/2.

(11) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، 287/2-288.

اقتطاع اجزاء من اراضي السلطنة، لتصبح خاضعة لنفوذ المتمردين الذين كانوا يطلبون المساعدة من مملكة قشتالة، والتي لم تتوان يوما في تقديم المساعدة لكل متمرد ضد السلطة المركزية في سلطنة غرناطة ومثال على ذلك تمرد بني اشقيلولة⁽¹⁾ اشقيلولة⁽¹⁾ وهم: ((اسرة قوية نابهة من المولودين⁽²⁾))⁽³⁾، وحدث ذلك في عهد السلطان محمد الثاني بن يوسف (671-701هـ/1272-1301م) الملقب بـ: الفقيه، الذي تولى العرش الغرناطي بعد وفاة ابيه محمد بن الاحمر⁽⁴⁾، وبالحنكة العسكرية التي تمتع بها استطاع السلطان محمد الثاني التغلب على الاضطرابات الداخلية⁽⁵⁾، الا ان الثمن في القضاء على تلك الفتن هو استنزاف طاقات كبيرة ضعفت خلالها البلاد، مما سهل امر القشتاليين في مهاجمة حدود السلطنة مرة اخرى⁽⁶⁾.

كانت طبيعة العلاقة بين سلطنة غرناطة وبني مرين متذبذبة بين السلب والايجاب، الا ان الغرناطيين استمروا في طلب النجدة من الدولة المرينية والتي بدورها ظلت تجهز الجيوش وتخوض الحروب، تارة ضد بني اشقيلولة الى جانب السلطان الغرناطي⁽⁷⁾، واخرى الى جانب بني اشقيلولة ضد القشتاليين والسلطان الغرناطي⁽⁸⁾. في خضم الصراع بين بني الاحمر وبني اشقيلولة من جهة، والقشتاليين وبني مرين من جهة اخرى، الامر الذي ادى بالسلطان محمد الفقيه في سنة 701هـ/1302م الى تجديد اتفاقية سنة 695هـ/1295م مع مملكة اراغون⁽⁹⁾ Aragon⁽¹⁰⁾.

بعد وفاة محمد الفقيه تولى العرش محمد الثالث (701-708هـ/1301-1318م) الملقب بـ: المخلوع الذي سار على نهج ابيه بما كانت لديه من خبرة في الادارة ايام ابيه⁽¹¹⁾، فعمل على التودد الى بني مرين وجرت بين الدولتين تبادل

(1) بني اشقيلولة: تعود العلاقة بين بني اشقيلولة، ومؤسس دولة بني الاحمر الى الفترة قبل تأسيس السلطنة، واساس تلك العلاقة والتعاون يرجع الى وجود مصاهرة بين الطرفين، وابن اشقيلولة هو من ابناء بلدة بني الاحمر، اتفقا على اقتسام الملك فيما بينهما، وعندما غلب ابن الاحمر، ولي بني اشقيلولة قيادة الجيش، وحدث تمردهم بعد وفاة محمد بن يوسف، حيث كانت بذوره موجودة ايام محمد بن يوسف. حول تفاصيل هذا التمرد يراجع: ابن ابي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس، 220/2؛ الذهبي، دول الاسلام، 132/2؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 287/2؛ ابن خلدون، العبر، 262/7-263؛ المقري، نفع الطيب، 48/1؛ عنان، نهاية الاندلس، 40.

(2) المولدون: هم من ابناء الاسبان الذين اصبحوا تابعين للعرب المسلمين الفاتحين عن رضا ورغبة واعتنقوا الاسلام، وريوا تربية ممزوجة من اخلاق اجدادهم واخلاق المجتمع الاسلامي، نجحوا في المحافظة على عاداتهم واعرافهم، وزاولوا مهن عديدة. تخلصوا من دفع الجزية بدخولهم الاسلام، فهم يمثلون مختلف طبقات المجتمع وليس من الطبقة الفقيرة فحسب، بل من النبلاء والزراع، ومنهم من ينحدر من اسر عريقة، في ظل التعايش الاسلامي السلمي ارتبط بعضهم بروابط المصاهرة مع المسلمين، وعلى كل المستويات. للتفاصيل يراجع: ابن حيان، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، 129/1؛ ابن عذارى، البيان المغرب، 7/2؛ مجهول، ذكر بعض مشاهير اعيان فاس، 68؛ ابن الخطيب، الاحاطة، 501/3؛ ابن خلدون، التعريف بأبن خلدون ورحلته، 84؛ كريباخ، عناصر المجتمع الاندلسي، 42؛ عتيق، الادب العربي الاندلسي، 34؛ خطاب، الاندلس وما جاورها، 121؛ Henri Peres La, Poesie Andalous P.254-255, 274.

(3) عنان، نهاية الاندلس، 40.

(4) ابن الخطيب، الاحاطة، 556/1.

(5) النباهي، نزهة البصائر والابصار، 119؛ القلقشندي، صبح الاعشى، 261/5.

(6) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 291.

(7) السلاوي، الاستقصا، 38/3؛ الغنيمي، مأساة الفردوس المفقود، 343.

(8) ابن خلدون، العبر، 261/7؛ مجهول، الذخيرة السينة 165؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، 288/2.

(9) اراغونة Aragon: بالفتح ثم السكون وضم الكاف، ثم واو ساكنة، ونون، حصن منيع بالاندلس من اعمال سنتمرية.

الحموي، معجم البلدان، 154/1.

(10) حبيب، دور غرناطة في مواجهة تحديات، 94.

(11) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، 60؛ لين بول، طبقات سلاطين الاسلام، 56.

مراسلات وسفارات⁽¹⁾، ودارت حروب بينه وبين مملكة قشتالة، حقق فيها انتصارات كبيرة وقدم هدايا من سبي الحروب لسلطان بني مرين جزاءً لمواقفه الايجابية⁽²⁾، الا ان احتلال سبتة⁽³⁾ من قبل بني الاحمر ادى الى ان تسوء العلاقة بين مرين وبني الاحمر⁽⁴⁾.

فبعد ان قدم بني مرين النجدات العسكرية⁽⁵⁾ لبني الاحمر، وخاضوا حروب مشتركة ضد الاسبان وبعد ان كانت علاقة مودة وصداقة تحولت تلك العلاقة بتدخل بني الاحمر بسبتة الى صدام عسكري بين الطرفين⁽⁶⁾، وسبب ذلك يعود الى نفوذ شيخ الغزاة المريني الواسع وتدخله في كثير من امور دولة بني الاحمر⁽⁷⁾.
تم خلع محمد الثالث بسبب مرض مزمن أصاب بصره، فأستبد بالأمر وزيره ابو عبدالله بن الحكم⁽⁸⁾، لذلك تحرك اخوه نصر المسمى ب: ابو الجيوش وسيطر على عرش السلطنة واستمر حكمه لها خلال المدة (708-714هـ/1308-1314هـ)⁽⁹⁾.

وفي ايامه جرت وقائع وحوادث منها غزو قشتالة للجزيرة الخضراء براء، وغزوها لمضيق جبل طارق بحرا، ثم ان مملكة اراغون تدفعا العصبية الدينية والمصالح السياسية قامت بفتح جبهة مؤازرة لمملكة قشتالة⁽¹⁰⁾.

تنازل نصر بن محمد عن الحكم بعد تعرضه لضغوط من قبل معارضيه، وتولى بعده ابو الوليد اسماعيل بن فرج (714-725هـ/1314-1324م) الذي وصف بالقول: ((سلطان مهيب شجاع حازم ناهض بأعباء الملك عديم النظر))⁽¹¹⁾، السلطان الجديد استطاع تكبيد القشتاليين خسائر كبيرة في إحدى المعارك التي حدثت سنة 719هـ/1319م وقدرت خسائر القشتاليين بخمسين الف قتيل او اكثر وقتل قائد الجيش القشالي⁽¹²⁾.

توفي السلطان ابو الوليد اسماعيل اثر طعنة خنجر وجهت له من ابن عمه لنزاع كان بينهما⁽¹³⁾، ليتولى بعده ابنه وولي عهده ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (720-733هـ/1320-1332م)، وكان عمره نحو تسع سنوات⁽¹⁴⁾، في ايامه عقدت معاهدة صداقة مع اراغون⁽¹⁵⁾، ودار صراع بينه وبين شيخ الغزاة المريني على اثر سعابيات دارت بينهما، ذلك الاضطراب شجع القشتاليين على مهاجمة أراضي السلطنة مستغلين اضطراب الاوضاع واستولوا على بعض الحصون⁽¹⁶⁾.

- (1) ابن خلدون، العبر، 301/7؛ السلاوي، الاستقصا، 82/3.
- (2) ابن الخطيب، اللحة البدرية، 63.
- (3) سبته Ceuta: مدينة كبيرة على بحر الزقاق، تقابل الجزيرة الخضراء، ويحيط بسبتة البحر من كل جهاتها ماعدا جهة جهة الغرب. الحميري، الروض المعطار، 303.
- (4) ابن خلدون، العبر، 303/7؛ المياحي، العلاقات السياسية لمملكة غرناطة، 43-40.
- (5) عن نجدات بني مرين لبني الاحمر يراجع: سالم، تاريخ المغرب الكبير، 870/1.
- (6) نصر، الشعر في غرناطة في عهد بني الاحمر، 9.
- (7) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، 11.
- (8) ابن الخطيب، اللحة البدرية، 67.
- (9) ابن الخطيب، الاحاطة، 334/3.
- (10) ابن الخطيب، اللحة البدرية، 70.
- (11) العسقلاني، الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنة، 219.
- (12) ابن الخطيب، الاحاطة، 389/3؛ اللحة البدرية، 85، اعمال الاعلام، 295؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، 51/6؛ النباهي، نزهة البصائر والابصار، 129؛ شيال، القضاء في مملكة غرناطة، 51.
- (13) ابن الخطيب، الاحاطة، 392-393/3؛ عنان، نهاية الاندلس، 221.
- (14) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 295/2؛ اللحة البدرية، 90.
- (15) بالار، بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون وغرناطة، 195.
- (16) ابن الخطيب، الاحاطة، 535/1.

السياسة السلبية التي اتبعها السلطان الغرناطي تجاه بني مرين ودخوله في صراع مع مشيخة الغزاة المرينية، ادت الى قيام مجموعة من قادة الجيش المريني - والذين يتمتعون بنفوذ كبير داخل سلطنة غرناطة - بتدبير مؤامرة للتخلص من السلطان الغرناطي، وتم تحقيق ذلك اذ قتلوه⁽¹⁾، وتولى بعده اخيه ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل (733-755هـ/1235-755هـ) العلاقة مع المرينيين والاستعانة بهم في القضاء على الاطراف المناوئة له بالحكم⁽³⁾، واستطاع السلطان الجديد كبح جماح الوزراء الطامعين في ملكه⁽⁴⁾، وحدثت وقائع كثيرة بين الغرناطيين والمرينيين من جهة وبين الاسبان من جهة اخرى⁽⁵⁾، سقطت على اثرها الجزيرة الخضراء بأيدي الاسبان مما اضطر الى عقد هدنة بين الطرفين و شملت السلطان المريني ايضا⁽⁶⁾.

ولا بد من القول بان الموقع الجغرافي التحصيني للسلطنة كان له الاثر الكبير في رسم سياستها الخارجية مع الاطراف المحيطة بها، وتلك الاطراف تتبدل طبيعة سياستها الخارجية تجاه غرناطة بحسب ما تقتضيه مصلحتها، فعندما كانت قشتالة تحدها من جهة الشمال واراغون من جهة الشرق، والبرتغال من جهة الغرب، ودولة بني مرين في المغرب من جهة الجنوب، لذلك كانت تقترب مرة الى المغرب العربي ضد قشتالة، واخرى الى قشتالة ضد المغرب العربي، وثالثة تقترب الى ارغون والبرتغال ضد قشتالة وهكذا كانت السياسة الخارجية لسلطنة غرناطة ترسم ضمن المصالح التي تربطها مع الجهات المحيطة بها⁽⁷⁾.

كانت نهاية حكم ابو الحجاج يوسف سنة 755هـ/1354م، اثر طعنة خنجر تلقاها من رجل مخبول⁽⁸⁾، وهو يصلي يصلي في محرابه ففارق الحياة، ليتولى العرش بعده محمد بن يوسف المعروف ب: الغني بالله الذي حكم خلال المدة (755-793هـ/1354-1391م)⁽⁹⁾، وهي مدة طويلة استمرت حوالي خمسة وثلاثين عاماً تخللها انقطاع لمدة ثلاث سنوات⁽¹⁰⁾، الا انها مدة زمنية مهمة في تاريخ السلطنة رافقتها حوادث سياسية داخلية وخارجية كثيرة⁽¹¹⁾. اعتمد السلطان الغني بالله في ادارة السلطنة على بعض الشخصيات المهمة في الادارة، منهم وزيره لسان الدين ابن الخطيب⁽¹²⁾، كذلك حاجبه ابو النعيم رضوان، الذي تحمل اعباء الدولة مع السلطان الغرناطي⁽¹³⁾، ورجل ثالث هو شيخ الغزاة المريني ابو زكريا يحيى بن عمرو بن رحو⁽¹⁾.

(1) السلاوي، الاستقصا، 123/3.

(2) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 304/2؛ ابن الخطيب، اللوحة البدرية، 102.

(3) ابن الخطيب، الاحاطة، 319/1.

(4) السلاوي، الاستقصا، 135/3.

(5) ابن خلدون، العبر، 348-347/3؛ السلاوي، الاستقصا، 138-137/3.

(6) ابن الخطيب، الاحاطة، 332/4؛ عبد الله، معاهدات الصلح، 103.

(7) العبادي، الاعياد في مملكة غرناطة، 137.

(8) ابن الخطيب، اللوحة البدرية، 110.

(9) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 306/2؛ ابن خلدون، العبر، 405/7.

(10) يعود سبب هذا الانقطاع الى حدوث ثورة ضد السلطان الغني بالله سنة 760هـ/1358م، كانت نتيجتها مبايعة اخيه اسماعيل، الذي قتل وتولى بعده ابن عمه ابو عبد الله محمد بن اسماعيل حتى سنة 763هـ/1361م، وهو العام الذي استعاد الغني بالله عرشه بمساعدة سلطان المغرب المريني ابي سالم. يراجع: ابن الخطيب، الاحاطة، 29-27/2؛ اللوحة البدرية، 127-121؛ ابن خلدون، العبر، 409-405/2.

(11) حبيب، دور غرناطة في مواجهة تحديات، 119.

(12) للتعرف على ترجمة لسان الدين ابن الخطيب يراجع: ابن الخطيب، الاحاطة، 439-438/4؛ المقرئ، ازهار

الرياض، 63-62/1؛ نفح الطيب، 404/4.

(13) ابن الخطيب، الاحاطة، 16-15/2؛ اللوحة البدرية، 115.

شهدت السلطنة في هذه المدة الاستقرار والهدوء نتيجة لتدهور الأوضاع الداخلية في مملكة قشتالة من جانب⁽²⁾، ومناصرة السلطان المريني ابي عنان بن ابي الحسن بن ابي سعيد بن ابي يوسف من جانب اخر⁽³⁾، حيث كان السلطان الغني بالله يرسل ابن الخطيب الذي كان يستصرخه بقصائد حماسية تثير عنده روح الجهاد، يطلب من خلالها نصرته لمسلمي غرناطة⁽⁴⁾، فيستجيب لدعوات السلطان الغرناطي دائما⁽⁵⁾.

وبعد وفاة الغني بالله سنة 794هـ/1391م، دخلت سلطنة غرناطة مرحلة نهاية القوة لتتهدر شيئا فشيئا الى الهاوية والضعف والانحلال، فأصبحت الحياة السياسية محفوفة بالمؤامرات والدسائس والفتن اوصلت السلطنة في نهاية المطاف الى السقوط والانهيال السياسي الكامل في نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي⁽⁶⁾.

(1) ابن الخطيب، الاحاطة، 16/2.

(2) حبيب، دور غرناطة في مواجهة، 120.

(3) للتعرف على تفاصيل حياته يراجع: ابن الخطيب، الاحاطة، 18/2-22؛ اللوحة البدرية، 117-119.

(4) السلاوي، الاستقصا، 194/3.

(5) حبيب، دور غرناطة في مواجهة تحديات، 129.

(6) ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس، 116.

المبحث الثاني

العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية⁽¹⁾

وصلت الدولة العثمانية الى اوج عظمتها في القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، وتمكنت من الامتداد الى اوربا من جهة الشرق، الامر الذي اقلق البابوية وخاصة الدول الاوربية عامة، ونتيجة لذلك التهديد، وشجعت البابوية واوربا كل جهة من شأنها اضعاف قوة العثمانيين، لذلك حاولت اوربا اقامة علاقات قوية مع تيمورلنك عدو الدولة العثمانية⁽²⁾، فقد ارسلت قشتالة في عهد ملكها هنري الثالث، عدة وفود الى تيمورلنك، طلب الوفد الاول التحالف معه ضد العثمانيين، ثم أرسل موفدان قشتاليان وصلاً اثناء استعداد تيمورلنك لخوض معركة انقرة⁽³⁾ سنة 806هـ/1403م، ضد العثمانيين، شاهد الموفدان المعركة، ثم انصرفا محملين بالهدايا⁽⁴⁾، وبذلك الوفود توثقت الروابط بين قشتالة، وتيمورلنك وذلك ما اتضح من خلال الوفد الثالث، الذي أرسلته اسبانيا سنة 807هـ/1404م، برئاسة روي كانزلز Ruy Ganzalez، وعبر تيمورلنك عن فرحه بوصول الوفد بان سأل عن (ولده) ملك الاسبان، اذ اشار مخاطباً حاشيته بالقول: ((انظروا الى هؤلاء السفراء انهم مرسلون من قبل ولدي⁽⁵⁾... الذي يعيش في الطرف الآخر من العالم))، تلك المخاطبة اراد تيمورلنك التفخر بان اتباعه موجودون حتى في الطرف الآخر من العالم⁽⁶⁾.

كان سبب استتجاد سلاطين غرناطة بسلاطين آل عثمان هو اعتقاد سلاطين غرناطة بان الدولة العثمانية هي السلطة الشرعية لخلافة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، وان الدولة الاسلامية في حالة جهاد مستمر، اذ يوجد بين المسلمين وبقية العالم حسب رأي الفقهاء حالة من الحرب تفرضها اسس دينية وقانونية، ولا تنتهي حالة الحرب تلك الا عندما يعم الاسلام جميع ارجاء المعمورة، لذا فان معاهدة سلام بين الدولة الاسلامية ودولة غير اسلامية غير محبذة من الناحية الشرعية، فالحرب لا يمكن إنهاؤها، وانما يمكن ايقافها فقط لاسباب الضرورة ولاسباب ذرائعية عن طريق الهدنة⁽⁷⁾.

(1) الدولة العثمانية: دولة اسست على يد عثمان بن ارطغرل بن سليمان بن شاه رئيس قبيلة قايي، احدى قبائل الغز التركية، هاجر سليمان الشاه امام هجمات المغول مع قبيلته في الف فارس من الكردستان واستقر في اتلاط (بلدة شرقي تركيا اليوم قريباً من بحيرة وان في هضبة ارسيتيا)، ثم انضم ابناء تلك القبيلة بعد وفاة سليمان شاه الى جيش السلاجقة الذين اقطعوهم ارض واستقروا فيها، وبعد وفاة ارطغرل تولى امرهم ابنه عثمان، الذي اتخذ من مدينة بكي شهر (في وسط الاناضول غربي فرتيه)، عاصمة له واتخذ نفس الراية التي تشكل اليوم العلم التركي، واستطاع عثمان بن ارطغرل السيطرة على الاراضي التابعة للسلاجقة بعد الضعف والاضطراب الذي حل بدولتهم سنة 699هـ/1299م. السراج، الحلل السندسية في الاخبار التونسية، 56-60/2/1؛ حسون، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، 14-15.

(2) تيمورلنك: ولد في بلاد ما وراء النهر سنة 740هـ/1339م، وورث عن ابيه زعامة قبيلة تركية اسمها بارلاس Barlas، انضوى في البداية تحت لواء امير افغانستان جلال الدين محمود، اصيب تيمور في احدى المعارك بسهم في رجليه جعله اعرجاً طوال حياته، فسمي ب: تيمورلنك وتعني بلغتهم تيمور الاعرج، تولى السلطنة سنة 774هـ/1372م، بعد ان دبر انقلاباً على احد الامراء كان حليفاً له اسمه: حسين، وهو خصم لامير افغانستان، واتخذ تيمورلنك سمرقند عاصمة له، واصبحت قاعدة لغزواته في جهة الشرق الاوسط وروسيا. اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 242.

(3) حول التفاصيل عن معركة انقرة. يراجع: حسون، الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، 22-27.

(4) اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 246.

(5) كلمة ولدي عند المغول تحمل معنى التبعية. اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 246.

(6) اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 246.

(7) بوزرت، تراث الاسلام، 55/2.

انتهت العلاقات بين قشتالة وتيمورلنك بعد وفاة الأخير، وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تعد العدة لفتح القسطنطينية، كان مسلمو غرناطة في الطرف الغربي من أوربا يعانون من ويلات الحرب التي قادتها قشتالة ضدهم، وعُدَّ استيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام 858هـ/1454م، من الحوادث الكبرى التي غيرت أحوال البلاد المحيطة بالبحر المتوسط بشكل خاص، وأحوال العالم كله بشكل عام، خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي⁽¹⁾. وكان من نتائج فتح القسطنطينية على أوربا هو أن ذلك الفتح صعق ملوك وإمراء أوربا، حتى انتابهم الذعر والالام، وأصبحوا يستنهض بعضهم بعضاً للتصدي للعثمانيين وترك الخلافات التي اضعفتهم، لذلك خططوا لحملة صليبية ضد العثمانيين⁽²⁾، ولكن رجحان كفة العثمانيين في الشرق أدى إلى نتائج عكسية في إسبانيا، إذ صمم الإسبان على القضاء نهائياً على المسلمين في إسبانيا⁽³⁾.

بعد أن كسرت الدولة العثمانية شوكة أوربا بفتحها القسطنطينية أصبح أمل الأندلسيين كبيراً بتلك القوى الإسلامية الكبيرة⁽⁴⁾، فتوجهوا باستغاثة إلى السلطان محمد الفاتح (848-868هـ/1444-1463م)⁽⁵⁾، ولكن نتيجة انشغاله في حروب حروب داخل أوربا، لم يتمكن من تقديم المساعدة المطلوبة إذ لم يكن هناك ما يشير إلى تقديم أي عون عسكري، أو مادي من خلال سير الحوادث في غرناطة، وكانت تلك العلاقة السياسية الأولى التي طلب فيها مسلمي غرناطة النجدة من الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الفاتح⁽⁶⁾.

ففي الجانب الآخر كان مسيحيو أوربا لا يقلون طموحاً في نشر الديانة المسيحية وجعل العالم كله يتفياً ظلل الصليب المقدس، وكان من جملة نشاطاتهم استثمار الأموال الطائلة لتحقيق غايتهم تلك، ومارسوا نشاطاً فكرياً واسعاً من أجل ترسيخ مبادئهم، ولقد كانت الحروب الصليبية نشاطاً لنشر الدعوة المسيحية أو لتطهير الأراضي التي يسيطر عليها المسلمون وذلك دليل على انتقال الدعوة المسيحية من المجال النظري إلى التطبيق الفعلي ابتداءً في إسبانيا⁽⁷⁾.

والمدقق في سير الحوادث يجد أن استتجاد الأندلسيين بالعثمانيين جاء متأخراً، إذا ما قورن ببلاد المغرب العربي أو دولة المماليك التي لم تستطع تقديم العون العسكري⁽⁸⁾، لذلك وجد الغرناطيون أن القوة الإسلامية الرئيسية آنذاك هم العثمانيون لذلك حولوا انظارهم إليها، كان ذلك أيام حكم بايزيد الثاني (886-918هـ/1471-1512م) الذي تمرد عليه أخوه جم، وعندما خرج بايزيد الثاني لقتاله انهزم إلى مصر في عهد السلطان قايتباي الذي أكرمه إكراماً عظيماً⁽⁹⁾؛ الأمر الذي أساء إلى العلاقة بين الدولة المملوكية والدولة العثمانية، حاول السلطان قايتباي أن يثنيه عن عزمه في الذهاب لحرب أخيه في الأناضول إلا أنه فشل⁽¹⁰⁾، وتأزمت العلاقات بين الدولتين، مما أدى إلى حدوث صدام مسلح استمر مدة من الزمن سميت خلالها الحملات العسكرية بين الطرفين اسم: "التجاريد"، والتي جندت خلالها الدولة المملوكية العشائر

(1) فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها، 13.

(2) حسون، العثمانيون والبلقان، 111.

(3) عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، 75.

(4) الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، 902/2.

(5) السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، 71/1/1.

(6) فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، 58-67؛ اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 148-150.

(7) حمادي، المورسكيون ومحاكم التفتيش الإسبانية، 231.

(8) عنان، نهاية الأندلس، 218.

(9) السراج، الحلل السندسية، 74.

(10) البخيت، رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني إلى عبد المؤمن بن إبراهيم بن عمرو عثمان الحفصي،

سنة 896هـ/1495م، 69، هامش رقم (1).

والعناصر المحلية وسميت باسم: "عشران" وبعد تجاريد كثيرة ارسلت في السنوات (889هـ/1484م)، (890هـ/1485م)، (891هـ/1486م)، (892هـ/1487م)، (893هـ/1488م)، وتم عقد الصلح بين الطرفين بعد مساعي الفقهاء والقضاة، والوجهاء⁽¹⁾.

تواترت الاخبار عن الضيم الذي لحق اهالي غرناطة ليس في ساحات الحروب حسب بل على ألسنة الشعراء والخطباء والكتاب الذين ارادوا عبر استنجاتهم حث الامة الاسلامية على تقديم العون للسلطنة المغلوبة على امرها، فكان موقف السلطان العثماني بايزيد الثاني من مسأله من إعانة أهالي غرناطة المنكوبين محددة بمجموعة من العوامل الداخلية ضمنها على الأعم الجهد الذي بذله بايزيد الثاني لتنظيم البيت العثماني من الداخل ولا سيما، ما يتعلق منها بمصير اخيه جم الذي كان محوراً لتأمر الدول المسيحية ضد الدولة العثمانية⁽²⁾، لذلك حاول السلطان العثماني بايزيد الثاني إقامة علاقات طيبة مع دول اوربا، خصوصا البابوية منها التي تتلقى دفعة سنوية من الاموال يقدمها بايزيد الثاني لقاء ابقاء اخيه جم تحت مراقبتها⁽³⁾.

طلب حكام غرناطة النجدة من السلطان العثماني بايزيد الثاني - الذي ادعى انه اشرف السلاطين - ضد قشتالة الموحدة سنة 887هـ/1482م، على الرغم من ان بايزيد الثاني غير قانع بقوته البحرية، الا انه امر القراصنة المسلمين بتقديم العون الفعلي لمسلمي غرناطة⁽⁴⁾، وقد حالت مشاكله الشرقية دون تقديم المساعدة الكبيرة لمسلمي غرناطة⁽⁵⁾، علاوة على الخلافات الاسرية المتمثلة داخل البيت العثماني⁽⁶⁾.

تكرر طلب المساعدة من العثمانيين في عهد بايزيد الثاني، الذي اتفق مع قايتباي ملك مصر على مساعدة الاندلسيين بارسال بايزيد اسطولاً الى اسبانيا، وان يرسل قايتباي قوة برية من جهة افريقيا⁽⁷⁾.

وقد اورد عنان⁽⁸⁾ تفصيلاً عن بوادر التحالف العثماني المملوكي من اجل مد يد العون للمناطق الاندلسية المنكوبة فقال: ((... امراء الاندلس وزعماءها مذ لاح لهم شبح الخطر الداهم، يتجهون بابصارهم الى دول المغرب والمشرق معاً، وكانت كتبهم ونداءاتهم في تلك الاونة العصبية تنرى على فاس والقاهرة والقسطنطينية... ان المشرق كله اهتز بحوادث الاندلس، وسقوط قواعدها السريعة في يد النصارى، وان بايزيد الثاني سلطان الترك والاشرف قايتباي سلطان مصر، تهادنا مؤقتاً بالرغم مما كان بينهما من خصومات مضطربة وحروب دموية وعقدا مخالفة لانجاد الاندلسيين وانقاذ دولة الاسلام، ووضعاً لذلك خطة مشتركة خلاصتها ان يرسل بايزيد الثاني اسطولاً قوياً لغزو جزيرة صقلية التي كانت يومئذ من املاك اسبانيا، ليشغل بذلك اهتمام فرناندو وايزابيلا، وان تُبعث سرايات كبيرة من الجند من مصر وافريقيا، تجوز البحر الى الاندلس، لتتجد جيوشها وقواعدها)).

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، 43-47، 53-54، 43، 47، 53، 54؛ البخيت، رسالة من

السلطان بايزيد الثاني، 76 هامش رقم (14).

(2) مصطفى، اصول التاريخ العثماني، 74-75.

(3) زيادة، اكتشاف التقدم الاوربي، 15.

(4) مصطفى، اصول التاريخ العثماني، 73 - 74.

(5) قيام السلطان العثماني بايزيد الثاني بارسال اسطول ضرب شواطئ اسبانيا بعد ان استنجد به مسلمو غرناطة.

مصطفى، اصول التاريخ العثماني، 74 هامش رقم (1).

(6) مصطفى، اصول التاريخ العثماني، 74.

(7) حمودة، تأريخ الاندلس السياسي والاجتماعي والعمرائي، 2-3.

(8) عنان، نهاية الاندلس، 218-219.

وبقيل من التحقيق والتدقيق يمكن القول ان موقف الدولة العثمانية من مأساة غرناطة كان سبباً رئيساً في صعود قوتها البحرية وامتلاكها الجراً في الوصول الى سواحل المتوسط التي تطل عليها الدول الاوربية، تلك الجهود التي دعت اهالي غرناطة الى تدعيم الجهد البحري العثماني ضد اتحاد قشتالة واراغون اضافة الى الاسباب الاقتصادية الاخرى، وهنا يمكن القول ان حتمية الموقف العثماني من سقوط غرناطة ثم مأساة الفارين منها وطريقة التعامل مع نداءات الاستغاثة كان موقفاً ايجابياً لأن الدولة العثمانية كانت تمثل القوة الاسلامية الكبرى التي يمكنها مواجهة تحدياً يتمثل في طموحات النصارى، فقد ابتهج النصارى لحادث سقوط غرناطة في سائر الامم النصرانية التي اعتبرته من بعض الوجوه عوضاً عن سقوط القسطنطينية بيد الاتراك قبل ذلك بأربعين عاماً، وخُذلت ذكرى ذلك الحادث في روما باقامة قداس اعظم واستمر ابتهاج الشعب اياماً، وذلك يعني ان النصارى ومن وراءهم البابا وضعوا الدولة العثمانية وانجازاتها ولا سيما فتح القسطنطينة معياراً يحاولون موازنة معادلته بمجموعة من الاجراءات الاضطهادية، فمنذ استيلاء فرناندو على غرناطة، كان الاحبار يطلبون اليه بالحاج، ان يعمل على سحق طائفة محمد (صلى الله عليه واله) في اسبانيا بحسب تعبيرهم، وان يطلب من المسلمين الذين يريدون البقاء، اما التنصر او بيع املاكهم والعبور الى المغرب وانه ليس في ذلك خرقاً لعهوده المقطوعة لهم⁽¹⁾، وخاصة ان القسم الذي يؤخذ لغير المسيحيين لم يكن ملزماً بحسب قولهم⁽²⁾، بل في خرق العهود انقاداً لارواحهم وحفظ لسلامة مملكتهم، ولكن من الصعب ان يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع الاسبان بعدما حصل، او يحافظون على ولاءهم للملكين الكاثوليكين ماداموا معتقدين للديانة الاسلامية⁽³⁾، ولقد سار الصليبيون على ذلك المنهج في فترة الحروب الصليبية في المشرق وقد كلفهم ذلك كثيراً، الا انهم في الواقع لا يريدون التخلي عنه⁽⁴⁾.

كان العثمانيون في تلك الفترة من القوى الاسلامية العظمى، وبما ان سلطانهم يعد حامياً الحرمين الشريفين، فان ذلك منح الغرناطيين القوة الدفاعية والمقاومة الشديدة، اضافة لذلك فان سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين والانتصارات التي حققوها في اوربا الشرقية، اصبحوا يتمتعون بوزن ديني وعسكري وسياسي كبير في دول البحر المتوسط، وذلك بفضل قوتهم البحرية والبرية، وخاصة اثناء حكم بايزيد الثاني⁽⁵⁾.

وصلت سنة 892هـ/1486م، أي قبل خمس سنين من سقوط سلطنة غرناطة، رسالة غرناطية الى السلطان بايزيد الثاني، هي عبارة عن رثاء وضح خلاله الاندلسيون معاناتهم، وكيف اصبح الاسلام في غرناطة على ابواب السقوط، وطلبوا من خلال الرسالة مساعدات المسلمين لهم ملوكاً وشعوباً⁽⁶⁾.

كانت استجابة السلطان العثماني على ذلك الاستجداد برسالة اسطوله البحري الذي قاده (كمال رايس)، كان مجرد ذكر اسمه يعني إلقاء الرعب في قطعات الاساطيل المسيحية في مياه البحر المتوسط خلال اواخر القرن (التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي)، فوصل الى الشواطئ الاسبانية، وقد دحر ذلك الاسطول قرب الشواطئ الاسبانية، وبما ان ذلك الحادث لم يذكره المؤرخون المسلمون فان هناك شكاً في حدوثه، ولا سيما اذا ما عرفنا ان الدولة العثمانية خلال تلك المدة كانت مشغولة بحروبها في شرق اوربا، وحربها مع المماليك في البحر المتوسط او بلاد الشام، اضافة الى ذلك كانت القوات البحرية الاسبانية في تلك الفترة تتفوق بحرياً في البحر المتوسط، وليس من المعقول ان يجازف السلطان العثماني هكذا مجازفة، ولا سيما وان نابلي التابعة لاسبانيا في تلك الفترة كانت قوتها البحرية كبيرة ايضاً، فمن الممكن ان تقطع الامداد عن ذلك الاسطول؛ لذلك فان الشكوك تدور حول هكذا فعل من قبل العثمانيين الذين كان يهتمهم ارضاء البابا

(1) عنان، نهاية الاندلس، 271، 313.

(2) اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 248.

(3) عنان، نهاية الاندلس، 313.

(4) اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، 248.

(5) V. S. Parry, Bayazid II, p. 1153–1155.

(6) Hammer, Histoire de l' Empire Ottonan, IV, p.21.

الذي يغضب لغضب ملوك الاسبان ويرضى لرضاهم، وكان السلطان بايزيد الثاني معروفاً بالتقوى والتدين، وكانت اخبار الاندلسيين تصل اليه بطريق اللقاءات السنوية للحجاج في بيت الله الحرام، لذلك كانت اخبار الدولة العثمانية وقوة شوكتها تصل الى الاندلسيين، وبنفس الطريق كانت تصل اخبار مظالم الغرناطيين الى الدولة العثمانية؛ لذلك كانت الدولة العثمانية تمثل بالنسبة للغرناطيين الموريثيين، الامل الكبير الذي ينقذهم من الاسبان⁽¹⁾.

ورد السلطان بايزيد الثاني الذي قيل انه كان معروفاً بالتقوى والتدين⁽²⁾، على احدى الاستغاثات الاندلسية بإرسال كتاب احتجاج الى الملكين الكاثوليكين، اللذين لم يعملوا بشيء منه، وكان ذلك بعد انتفاضة البيازين في سنة 905هـ/1499م⁽³⁾.

ومن الممكن عد ذلك الكتاب الذي ارسله بايزيد الثاني رداً على الاستغاثة التي ارسلها الموريثيون على شكل قصيدة⁽⁴⁾ تكشف جوانب كثيرة عن احوال الموريثيين، وكيفية تعامل الاسبان معهم، وما حل بمدنهم بعد سقوطها.

وحول اهمية اعتماد القصيدة، والشعر بصورة عامة كمصدر من مصادر التدوين التاريخي وأسلوب عمل في البحث التاريخي، يمكن توضيح مجموعة من الحقائق البارزة التي تشكل القاعدة النظرية المناسبة التي تسوغ هذا الاستخدام، فالشعر بالنسبة للعربي يمثل بنية معرفية مهمة من بنى التوثيق التاريخي، والدليل على ذلك الاف المدونات والمصنفات التاريخية التي اعتمدت الشعر مادة لها، فراحت تتفحص ذلك الشعر وتدقق فيه، لتستخرج منه حقائق اثبتتها الدراسات التاريخية الخالصة فيما بعد.

في غرناطة التي كانت تعيش وضعاً تاريخياً يمكن عده استثنائياً، الامر الذي جعل من تلك القصيدة الوثائقية شكلاً من اشكال الاتصال الابراقي الذي اعطي الغرناطيين الحافز على كتابة رسائل طويلة استناداً على حقيقة ان الذائعة العربية تستسهل حفظ الشعر والنبات على هذا الحفظ بل ترديده.

اما الامر الآخر الذي يسوغ اعتمادنا تلك القصيدة كوثيقة تاريخية هو غزارتها بالمعلومات التاريخية، التي تصل الى حد السرد التاريخي، وسيجد المتتبع ان المادة المستخلصة من تلك القصيدة مطابقة الى نتائج توصل اليها بعض المهتمين في دراسة المرحلة التاريخية، والذين اعتمدوا في عملهم على مصادر تاريخية لم تكن القصيدة من بينها⁽⁵⁾.

تنقسم القصيدة عبر اخضاعها لشكل من اشكال الاستقراء التاريخي الى ثلاث مجموعات ادائية:

الاولى: التي بدأت بها القصيدة قد اظهرت الخضوع الشامل والتبعية السياسية، والدينية للسلطة العثمانية، وتبين ان اهالي غرناطة رغم البعد الجغرافي ما زالوا اوفياء للتقاليد العربية الاسلامية.

الثانية: تبين مدى الضيم الذي لحق بهم جراء التعسف النصراني ضد المسلمين.

الثالثة: اثر القصيدة في شحذ همة السلطان العثماني لتقديم المساعدة الى الغرناطيين.

وعلى الرغم من الطبيعة العاطفية الا ان الجزء الاخير من المقطوعة يمكن ان يفهم على انه نوع من انواع الاستجداء والاستصراخ بالسلطان العثماني عبر إثارة مشاعره الدينية، والتلويح له بالنسب الشريف الذي يؤهله تمام التأهيل لان يكون المنقذ لما تبقى من الاسلاب العربية الاسلامية في الاندلس، فباتوا يرجون منه النظر فيما اصابهم لعل الله سبحانه وتعالى يغير ما ألمّ بهم، فكانوا يرون ان السلطان العثماني -استناداً الى موازين القوى التي تحكم العالم آنذاك- نو قول مسموع، وما يأمر به ينفذ عاجلاً .

(1) كاردياك، قضية الموريثيين بامريكا، 91.

(2) البخيت، رسالة من السلطان العثماني بايزيد الثاني، 69.

(3) حتاملة، التنصير القسري، 92.

(4) يراجع: الملحق رقم (1).

(5) عنان، ديوان التحقيق والمحاکمات الكبرى، 24-37؛ نهاية الاندلس، 334-376؛ حمادي، الموريثيون ومحاکم

التفتيش في الاندلس، 107-120؛ حتاملة، التنصير القسري، 59-86.

وتوضح القصيدة ايضا عامل يمكن عده واحداً من اخطر العوامل المهيمنة على الساحة السياسية في تلك الفترة، فالغرناطيون خصوصاً، والمسلمون عموماً يدركون الحقيقة تماماً وهي ان سيطرة العثمانيين على القسطنطينية تشكل ورقة رابحة يمكن ان يكون تأثيرها كبير في موازين الصراع، وفي قرارة الوضع السياسي عموماً، فالقصيدة توضح في عجز البيت الثالث والسبعين⁽¹⁾ ان السلطان العثماني يهيمن على قلب النصرانية (القسطنطينية) التي يبدأ منها أي اشعاع مسيحي مهما كان نوعه.

ان شعور الغرناطيين بتلك الحقيقة وتحسسهم بها اتاح للعثمانيين المسلمين والاسبان النصرارى الى مدى تأثيرها كمرحلة تاريخية في صياغة لغة الصراع في تلك الفترة، ثم التأثير في مجريات العلاقات السياسية بين الدول وهو الذي فتح الباب امام مجموعة من التأويلات ليس اقلها شأناً ان يعتبر التدخل العثماني في انجاد اهالي غرناطة لم يكن في حقيقته الا شكل من اشكال المناورة السياسية.

ومن خلال القصيدة يمكن تثبيت ابرز ملامح الاضطهاد الواضحة فيها:

- 1- اجبار الغرناطيين على تغيير ديانتهم.
 - 2- تبديل الاسماء الغرناطية ذات المدلول العربي الاسلامي الى اسماء اعجمية بدلالات نصرانية.
 - 3- احراق المصاحف بشكل علني واهانتها بكل طريقة.
 - 4- احراق الكتب الفقهية وكل ما يتعلق بامور الدين الاسلامي الحنيف.
 - 5- تضيق حرية الغرناطيين في ممارسة الشعائر الدينية كالصوم والصلاة .
 - 6- الاعتداء على حرية الغرناطيين ومنعهم من تلاوة القرآن الكريم.
 - 7- اجبار الغرناطيين على الذهاب الى الكنائس وتعريض الممتنعين منهم الى العقوبات.
 - 8- اجبار الغرناطيين على الافطار العلني في شهر رمضان.
 - 9- منع التبرك بالرموز الاسلامية.
- مما تقدم يمكن ادراج اهم الاسباب التي ادت الى ان تكون المساعدات العثمانية للغرناطيين اقل من المطلوب، وغير متلائمة مع قوة العثمانيين.

- 1- بُعد المسافة بين الدولة العثمانية وبين سلطنة غرناطة، ولا سيما اذا ما عرفنا ان الدولة العثمانية لم تكن تسيطر بشكل كامل على حوض البحر المتوسط مثلما اصبحت عليه في القرن (العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي).
- 2- قوة الاسطول الاسباني في حوض البحر المتوسط، الذي كان في منتهى الحيلة والحذر من تحركات العثمانيين.
- 3- وجود اساطيل مسيحية تتمثل باساطيل جنوة، والبندقية، وفرنسا، وابطاليا، وغيرها، كانت تلك القوى تكن العداء للدولة العثمانية آنذاك لذلك لم تقدم الدولة العثمانية أية نجدة الى الغرناطيين الذين كانوا يستجدون بها.
- 4- انشغال الدولة العثمانية بالصراعات والفتن الداخلية التي كانت تتجدد بين ابناء البيت العثماني بين الحين والآخر.
- 5- كان العثمانيون في صراع مع دولة المماليك على بعض المناطق في بلاد الشام وبعض جزر البحر المتوسط، اضافة الى التنافس الاقتصادي التجاري الذي كان على اشده بين الدولتين.
- 6- كان السلطان جم بحوزة اوربا، والسلطان العثماني بايزيد الثاني يدفع للاوربيين الاموال مقابل الاحتفاظ باخيه جم لذلك فقد كان أي تصرف من العثمانيين لنجدة مسلمي غرناطة يمكن ان يسبب للسلطان العثماني بايزيد مشكلات متعددة تتمثل باطلاق سراح اخيه جم، وتقديم المساعدة له من اوربا عامة، والبابوية خاصة التي كانت تدعم جهود الملكين الكاثوليكين في القضاء على المسلمين في غرناطة، ولا سيما اذا ما عرفنا ان السلطان بايزيد الثاني كان يتودد للبابا ويهتم بإرضائه.

(1) يراجع: الملحق رقم (1) .

- 7- كانت الدولة العثمانية تحاول استثمار طاقاتها العسكرية والتوسع على حساب اوريا الشرقية، ودولة المماليك في مصر، لذلك كانت ترى ان هناك أعمالاً يجب انجازها أولاً.
- 8- القوة التي كانت تتمتع بها اسبانيا بوصفها قوة بحرية وبرية، لذلك كانت الدولة العثمانية تخشى من تقديم أية مساعدة ولا سيما ان المساعدة المطلوب ان تقدمها الدولة العثمانية يجب ان تكون مساعدة بحرية وتلك المساعدة اذا ما قدمت فهي بحاجة الى تأمين اتصالها مع قواعدها الرئيسية وهذا امر صعب حدوثه في تلك المرحلة، اذ انه من الممكن ان يقطع الامداد، عن القوة التي تتقدم في أي نقطة من نقاط البحر المتوسط وافشال الهجوم بل انهاؤه بالكامل.
- 9- لم يكن الدافع العقائدي والديني لدى العثمانيين بالمستوى المطلوب.

الخاتمة

توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات لعل اهمها:

1. اصبحت سلطنة غرناطة في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، مهددة بالخطر امام تصميم الاسبان بالقضاء على آخر معقل للمسلمين في شبه جزيرة ايبيريا.
2. الضغط الشديد من قبل الاسبان ادى الى توجه غرناطة الى طلب النجدة من اقرب الدول الاسلامية اليها، وبما ان سلطنة بني مرين خلال هذه المدة قد وصلت الى مرحلة اضطراب سياسي اوصلها الى صعوبة حفظ توازنها الداخلي، مما ادى بسلطنة غرناطة الى توجه بطلب النجدة من سلطنة المماليك في مصر.
3. التصميم الذي قام به الاسبان ايام فرناند وايزابيلا والذي يدعو للقضاء على سلطنة غرناطة وبتأييد الكنيسة الكاثوليكية، ادى بسلاطين غرناطة الى ان يطلبوا نجدة عسكرية من المماليك والتي بدورها اعتذرت عن تقديم العون العسكري متعللة ببعد المسافة بينها وبين غرناطة.
4. تزلف الدولة العثمانية للبابوية التي كانت تمثل الزعامة الدينية لاوروبا من جانب، ومن جانب اخر تبني البابوية موضوع السلطان جم الذي وضع تحت الاقامة الجبرية من قبل البابوية والتي جعلته موضوعاً مهماً للمساومة مع العثمانيين خصوصاً ايام السلطان بايزيد العثماني الذي كان يحاول اقناع البابوية بتسليمه المنافس الرئيسي له؛ لذلك لم يشأ السلطان بايزيد الاقدام على اي عمل من شأنه اثاره البابوية ضده، والتي كانت تعمل بتوجيه الاسبان بوجوب اخراج المسلمين من اسبانيا حسب ما اثبت في الوثائق التاريخية.
5. التحديات الخارجية لدولة المماليك المتمثلة بالدولة العثمانية من جهة، والدول المسيحية المتحالفة ضدها من جهة اخرى، ادت الى عدم تدخل العثمانيين بامر سلطنة غرناطة.
6. ضعف روح الجهاد عند الدولة العثمانية، وتفضيل المصالح السياسية على التدخل لنجدة دولة اسلامية اخرى ادى الى برود موقف المماليك تجاه غرناطة.
7. انشغال دولة الدولة العثمانية بالحفاظ على اراضيها ضد الاطماع الخارجية، ادى الى عدم تقديم المطلوب للغرناطيين.

ملحق (1)

ومما كتبه بعض اهالي الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان ابي زيد خان العثماني، رحمه الله⁽¹⁾.
ما نصه بعد سطر الافتتاح:

الحضرة العلية، وصل الله سعادتها، واعلى كلمتها، ومهد اقطارها، واعز انصارها، واذل عداتها، حضرة مولانا، وعمدة ديننا ودينانا، السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الاسلام والمسلمين، قامع اعداء الله الكافرين، كهف الاسلام، وناصر دين نبينا محمد عليه السلام، محي العدل، ومنصف المظلوم ممن ظلم، ملك العرب والعجم والترك والديلم ظل الله في ارضه، القائم بسنته وفرضه، ملم البرين وسلطان البحرين، حامي الذمار، وقامع الكفار، مولانا وعمدتنا، وكهفنا وغياثنا، مولانا ابو يزيد، لا زال ملكه موفور الانتصار، مقرونا بالانتصار مشروع المعالي والفخار، مستأثرا من الحسنات بما يضاعف الله به الاجر الجزيل، في الدار الاخرة والاثناء الجميل، والنصر في هذه الدار. ولا برحت عزماته العلية مختصة بفضائل الجهاد، مجردة على اعداء الدين من بأسها، وما يروى صدور السمر و الصفاح والسنة السلاح، باذلة نفائس الذخائر في المواطن التي تألف فيها الاخير ومفارقة الارواح للأجساد، سالكة سبيل السابقين الفائزين برضا الله وطاعته يوم الاشهاد:

سلام كريم دائم متجدد	اخص به مولاي خير خليفة
سلام على مولاي ذي المجد و العلا	ومن البس الكفار ثوب المذلة
سلام على من وسع الله ملكه	وايده بالنصر في كل وجهة
سلام على مولاي من دار ملكة	قسطنطينة اكرم بها من مدينة
سلام على من زين الله ملكه	بجند واتراك من اهل الرعاية
سلام عليكم شرف الله قدركم	وزادكم ملكا على كل ملة
سلام على القاضي و من كان مثله	من العلماء الاكرمين الاجلة
سلام على اهل الديانة و التقى	ومن كان ذا رأي من اهل المشورة
سلام عليكم من عبيد تخلفوا	بأندلس بالغرب في ارض غربة
احاط بهم بحر من الروم زاخر	ويحر عميق ذو ظلام و لجة
سلام عليكم من عبيد اصابهم	مصاب عظيم يالها من مصيبة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت	شيوخهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكتشفت	على جملة الاعلاج من بعد ستره
سلام عليكم من بنات عواتق	يسوقهم اللباط قهرا لخلوة
سلام عليكم من عجائز اكرهت	على اكل خنزير و لحم لجيفة
نقبل نحن الكل ارض بساطكم	وندعو لكم بالخير في كل ساعة
ادام الاله ملككم وحياتكم	وعافاكم من كل سوء ومحنة
وايدكم بالنصر والظفر بالعدا	واسكنكم دار الرضا والكرامة
شكونا لكم مولاي ماقد اصابنا	من الضر والبلى و عظم الرزية
غدرنا ونصرنا ويدل ديننا	ظلمنا وعملنا بكل قبيحة
وكنا على دين النبي محمد	نقاتل عمال الصليب بنية
ونلقى امورا في الجهاد عظيمة	بقتل واسر ثم جوع و قله
فجاعت علينا الروم من كل جانب	بسيل عظيم جملة بعد جملة
ومالوا علينا كالجراد بجمعهم	بجد وعزم من خيل وعدة

(1) المقري، ازهار الرياض، 108-115.

فكنا بطول الدهر نلفي جموعهم	ففتقتل فيها فرقة بعد فرقة
وفرسانهم تزداد في كل ساعة	وفرساننا في حال نقص وقلة
فلما ضعفنا خبيموا في بلادنا	ومالوا علينا بلدة بعد بلدة
وجاءوا بأنفاط عظام كثيرة	تهدم اسوار البلاد المنيعة
وشدوا عليها في الحصار بقوة	شهورا واياما بجد وعزيمة
فلما تفانت خيلنا ورجالنا	ولم نر من اخواننا من اغائة
وقلت لنا الاقوات واشتد حالنا	اطعناهم بالكرة خوف الفضيحة
وخوفا على ابنائنا وبناتنا	من ان يؤسروا او يقتلوا شر قتلة
على ان نكون مثل من كان قبلنا	من الدجن من اهل البلاد القديمة
ونبقي على اذاننا و صلاتنا	ولا نتركن شيئا من امر الشريعة
ومن شاء منا البحر جاز مؤمنا	بما شاء من مال لي ارض عدوة
الى غير ذلك من شروط كثيرة	تزيد على الخمسين شرطا بخمسة
فقال لنا سلطانهم وكبيرهم	لكم ما اشترطتم كاملا بالزيادة
وابدى لنا كتبنا بعهد و موثق	وقال لنا هذا امانى وذمتي
فكونوا على اموالكم و دياركم	كما كنتم من قبل دون اذية
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم	بدا عذرم فينا بنقض العزيمة
وخان عهودا كان قد غرنا بها	ونصرنا كرها بعنف و سطوة
واحرق ما كانت لنا من مصاحف	وخلطها بالزبل او بالنجاسة
وكل كتاب كان في امر ديننا	ففي النار القوه بهزه وحقرة
ولم يتركوا فيها كتابا لمسلم	ومصحفاً يخلي به للقراءة
ومن صام او صلى ويعلم حاله	ففي النار يلقيه على كل حالة
ومن لم يجئ منا لموضع كفرهم	يعاقبه اللباط شر العقوبة
ويلطم خدية ويأخذ ماله	ويجعله في السجن في سوء حالة
وفي رمضان يفسدون صيامنا	بأكل وشرب مرة بعد مرة
وقد امرونا ان نسب نبينا	ولا نذكرنه في رخاء وشدة
وقد سمعوا قوماً يغنون باسمه	فأدركهم منهم اليم المضرة
وعاقبهم حكاهم وولاتهم	بضرب وتعزيم وسجن وذلة
ومن جاء الموت و لم يحضر الذي	يذكرهم لم يدفنه بحيلة
و يترك في زبل طريقا مجدلا	كمثل حمار ميت او بهيمة
الى غير هذا من امور كثيرة	قباح و افعال غزار ردية
وقد بدلت اسمائنا وتحولت	بغير رضا منا وغير ارادة
فاها على تبديل دين محمد	بدين كلاب الروم شر البرية
واها على اسمائنا حين بدلت	بأسماء اعلاج من اهل الغباوة
واها على ابنائنا و بناتنا	يروحون للباط في كل غدوة
يعلمهم كفرا و زورا و فرية	ولا يقدرنا ان يمنعوهم بحيلة
واها على تلك المساجد سورت	مزابل للكفار بعد الطهارة
واها على تلك الصوامع علقت	نواقيسهم فيها نظير الشهادة
واها على تلك البلاد وحسناها	لقد اظلمت بالكفر اعظم ظلمة
وصارت لعباد الصليب معاقلا	وقد امنوا فيها وقوع الاغارة
وصرنا عبيدا لا اسارى فنفتدي	ولا مسلمين نطقهم بالشهادة
فلو ابصرت عينك ما صار حالنا	اليه لجادت بالدموع الغزيرة
فيا ويلنا، يا يؤس ما قد اصابنا	من الضر والبلوى وثوب المذلة

وبالمصطفى المختار خير البرية	وسألتك يا مولاي بالله بنا
وإصحابه أكرم بهم من صحابة	وبالسادة الأخيار ال محمد
وشيبته البيضاء أفضل شيبية	وبالسيد العباس عم نبينا
وكل ولي فاضل ذي كرامة	وبالصالحين العارفين بربهم
لعل اله العرش يأتي برحمة	عسى تنظروا فينا وفيما أصابنا
وما قلت من شيء يكون بسرعة	فقولك مسموع و امرك نافذ
ومن ثم يأتيهم الى كل كورة	ودين النصارى اصله تحت حكمكم
علينا برأي او كلام بحجة	فبالله يا مولاي منوا بفضلكم
وغوث عباد الله في كل افة	فانتم اولوا الافضال والمجد و العلا
بماذا اجازوا الغدر بعد الامانة	فسل بابهم اعني المقيم برومة
بغير اذى منا وغير جريمة	وما لهم مالوا علينا بغدرهم
وامن ملوك ذي وفاء اجلة	وجنسه المغلوب في حفظ ديننا
ولا نالهم غدر ولا هتك حرمة	ولم يُخرجوا من دينهم و ديارهم
فذاك حرام الفعل في كل ملة	ومن يعط عهدا ثم يغدر بعهد
قبيح شنيع لا يجوز بوجهة	ولا سيما عند الملوك فانه
فلم يعلموا منه جميعا بكلمة	وقد بلغ المكتوب منكم اليهم
علينا واقداما بكل مساءة	وما زادهم الا اعتداء وجرأة
وما نالهم غدر ولا هتك حرمة	وقد بلغت ارسال مصر اليهم
رضينا بدين الكفر من غير قهرة	وقالوا لتلك الرسل عنا بأننا
ووالله ما نرضى بتلك الشهادة	وساقوا عقود الزور ممن اطاعهم
علينا بهذا القول اكبر فرية	لقد كذبوا في قولهم و كلامهم
نقول كما قالوه من غير نية	ولكن خوف القتل والحرق ردنا
وتوحيدنا لله في كل لحظة	ودين رسول الله ما زال عندنا
ولا بالذي قالوا من امر الثلاثة	ووالله ما نرضى بتبديل ديننا
بغير اذى منهم لنا ومساءة	وان زعموا انا رضينا بدينهم
اسارى و قتلى تحت ذل ومهنة	فسل وحرا عن اهلها كيف اصبحوا
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة	وسل بليقا عن قضية امرها
كذا فعلوا ايضا بأهل البشرية	ومنيافة بالسيف مزق اهلها
بجامعهم صاروا جميعاً كفحمة	واندرش بالنار احرق اهلها
فهذا الذي نلناه من شر فرقة	فها نحن يا مولاي نشكو اليكم
ما عاهدونا قبل نقض العزيمة	عسى ديننا يبقى وصلاتنا
بأموالنا للغرب دار الاحبة	والا فيجلونا جميعا من ارضهم
على الكفر في عز على غير ملة	فأجلونا خير لنا من مقامنا
ومن عندكم تقضي لنا كل حاجة	فهذا الذي نرجوه من عز جاهكم
وما نالنا من سوء حال وذلة	ومن عندكم نرجوا زوال كربنا
وعزتكم تعلقو على كل عزة	فأنتم بحمد الله خير ملوكنا
بملك وعز في سرور و نعمة	فنسأل مولانا دوام حياتكم
وكثرة اجناد ومال وثروة	وتهدين اوطان ونصر على العدا
عليكم مدى الايام في كل ساعة	وتم سلام الله ثلوه رحمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

1. المصادر:

الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله الصقلي (ت: 560هـ/1164م).

. صفة المغرب وارض السودان والمغرب والاندلس، (جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق)، طبعة بيرل، (ليدن -1982).

ابن إياس، محمد بن احمد بن ياس الحنفي (ت: 930هـ/1523م).

. صفحات لم تنشر من بدائع الزهور، نشر الدكتور، محمد مصطفى، (القاهرة - 1951).
. بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة بولاق، (القاهرة - 1311هـ).

ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتري (ت: 542هـ/1147م).

. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، تحقيق د. احسان عباس، ط2، دار الثقافة،

ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت: 779هـ/1377م).

. تحفة النظار في غرائب الامصار المعروفة (بالرحلة)، دار صادر، بيروت، (1384هـ/1964م).

التلمساني، شهاب الدين احمد بن محمد (ت: 1041هـ/1631م).

. ازهار الرياض في اخبار غياض، تحقيق مصطفى السقا، وابراهيم اليباري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة النشر، (القاهرة -1939).

. نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، (بيروت -1968).

ابن حزم، ابو محمد علي بن احمد (ت: 456هـ/1063م).

. فضائل الاندلس واهلها، تحقيق: صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت - 1968).

الحميري، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 910هـ/1504م).

. صفة جزيرة الاندلس، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة -1357هـ/1937م).

الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ/1228م).

. معجم البلدان، دار صادر، (بيروت -1407هـ/1986م).

ابن حيان، ابو مروان حيان ابن خلق بن حسين (ت: 469هـ/1076م).

. المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، (بيروت -1385هـ/1965م).

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد (ت: 779هـ/1377م).

. الاحاطة في اخبارغرناطة، تحقيق، صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، (بيروت-1968).

. اعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام نشره ليفي بروفنسال تحت عنوان: تاريخ اسبانيا الاسلامية، دار المكشوف، (بيروت-1956).

. شرح رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة المحمودية، (تونس -1336).

. اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تعليق: محي الدين الخطيب، دار الافاق الجديدة، (بيروت-1978م).

. الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: د. احسان عباس، (بيروت - 1963).

. كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق: محمد كمال شبانه، دار الكتاب العربي، (القاهرة - 386هـ/1916م).

ابن خرداذبة، ابي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: 300هـ/912م).

. المسالك والممالك، د.ط، (برلين - 1889).

- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت: 808هـ/1405م).
 . التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني، (بيروت - د. ت).
 . العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شهادة،
 وسهيل زكار، دار الفكر، (بيروت -1988).
 . مقدمة ابن خلدون، (لبنان -1992).
 الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله حمد بن احمد بن عثمان (ت: 748هـ/1347م).
 . دول الاسلام، (حيدر اباد - 1337هـ).
 ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله (ت: 726هـ/1325م).
 . الانيس المطرب بروض القرطاس، في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (مدريد -1980).
 ابن سعيد، علي بن موسى بن سعيد (ت: 685هـ/1286م).
 . اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب، ط2، (بيروت - 1400هـ /1980م).
 . كتاب الجغرافيا، حققة ووضع مقدمته وعلق عليه: اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت -
 1997).
 . المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، (القاهرة -1383هـ/1963م).
 السراج، محمد بن حميد الاندلسي.
 . الحلل السندسية في الاخبار التونسية، تقديم وتحقيق: محمد حبيب الهبله، دار الكتب الشرقية، (دم - د. ت).
 الصدي، رزق الله منقريوس.
 . تاريخ دول الاسلام، مطبعة الهلال، (القاهرة -1980م).
 ابن طولون، شمس الدين محمد.
 . مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تاريخ مصر والشام، تحقيق: محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
 والترجمة والطباعة والنشر، (القاهرة - 1381هـ/1962م).
 ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (1089هـ/1678م).
 . شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، (بيروت - د. ت).
 ابن عذاري، ابو العباس محمد بن محمد (ت: 713هـ/1313م).
 . البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، (تطوان - 1960م).
 العسقلاني، احمد بن الحسن بن حجر (ت: 852هـ/1448م).
 . الدرر الكامنه في اعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه، الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، (بيروت -
 1997).
 ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت: 773هـ/1371م).
 . تقويم البلدان، تصحيح وطبع: رينولد والبارون ماك كوكيت دميلاند، دار الطباعة السلطانية، (باريس - 1840م).
 القلقشندي، شهاب الدين احمد بن علي (ت: 821هـ/1418م).
 . صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المؤسسة المصرية للطباعة، (القاهرة -1963).
 ابن القوطية، ابو بكر محمد (ت: 367هـ/977م).
 . تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، (1378هـ/1958م).
 مجهول.
 . ذكر بعض مشاهير اعيان فاس في القديم، نشر بعنوان: بيوتات فاس الكبرى، (الرباط-1392-1968م).

- ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن محمد الفاسي (حيا: 726هـ/1325م).
 . الذخيرة السينة في تاريخ الدولة المرينية، نشر محمد بن ابي شغب، (الجزائر -1920).
- ابن مخلوف، محمد بن محمد (ت: 1360هـ/1941م).
 . شجرة النور الزكية في طبق من المالكية، (القاهرة- 1350هـ).
 . المقدسي، شمس الدين ابو عبدالله محمد (ت: 375هـ/985م).
 . احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مطبعة بيرل، ط2، (ليدن - 1906م).
 . المقرئ، تقي الدين احمد بن علي (ت: 845هـ/1441م).
 . شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق، محمد السيد علي بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، (النجف -1967).
- المكناسي، محمد بن عثمان (ت: 1212هـ/1797م).
 . الاكسير في فكاك الاسير، تحقيق: محمد القاسي، مطبعة الدال، (الرباط -1963).
 . الملزوي، ابو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد(ت: 697هـ/1297م).
 . نظم السلوك في الانبياء والخلفاء والملوك، (الرباط -1963).
 . الناصري السلاوي، ابو العباس احمد بن خالد، (ت: 1315هـ/1932م).
 . الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، نشره: جعفر ومحمد ابناء المؤلف، (الدار البيضاء - 1972).
 . النباهي، ابو الحسن علي ابن عبد الله بن الحسن، (ت: 793هـ/1390م).
 . نزهة البصائر والابصار، نشره: مولر في كتابه: (نخب من تاريخ عرب المغرب)، (ميونخ -1283هـ/1866م).
- 2. المراجع العربية والمترجمة:**
 ارسلان، الامير شكيب.
 . خلاصة تاريخ الاندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت . د. ت).
 بالار، ماريونوس اريباس.
 . بنو مرين في الاتفاقات المبرمة بين اراغون وغرناطة، مجلة تطوان، (تطوان - 1963).
 البخيت، محمد عدنان.
 . رسالة السلطان العثماني بايزيد الثاني الى عبد المعز بن ابراهيم بن عمر عثمان الحفصي سنة 896هـ/1495، بحث منشور في المجلة التاريخية المغربية، العدد/9، (تونس -1977).
 بروكلمان، كارل.
 . تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه امين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط3، (بيروت -1979).
 بوزرت، وشاخت.
 . تراث الاسلام، مجلة عالم المعرفة، (الكويت - 1988).
 حبيب، بهاء موسى.
 . دور غرناطة في مواجهة تحديات الممالك الاسبانية الشمالية، (629-897هـ/1232-1492م)، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، مقدمة الى كلية الاداب، جامعة الكوفة، (1424هـ / 2002م).
 حناملة، محمد عبدة.
 . التنصير القسري لمسلمي الاندلس في عهد الملكين الكاثوليكين 1474-1516، نشر بمساعدة الجامعة الاردنية، (عمان - د. ت).
 الحسون، علي.
 . الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، المكتبة الاسلامية، (د. ت).

- . العثمانيون والبلقان، المكتب الاسلامي، (د.ت).
حمادي، عبد الله.
- . الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الاندلس، 1492-1616، (الجزائر - 1989).
حمودة، علي محمد.
- . تاريخ الاندلس السياسي والعمراي والاجتماعي، دار الكتاب العربي، (القاهرة . 1957).
خطاب، محمود شيت.
- . الاندلس وما جاورها، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثامن و الثلاثون، الجزء الثاني والثالث، (بغداد - 1315هـ/1987).
الدراج، د. احمد.
- . المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي، دار الفكر العربي، (القاهرة -1961).
زيادة، خالد.
- . اكتشاف التقدم الأوربي، دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت - د.ت).
سالم، السيد عبد العزيز.
- . تاريخ المغرب الكبير، العصر الاسلامي، (القاهرة - 1966).
السامرائي، خليل ابراهيم، وآخرون.
- . تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس، جامعة الموصل، (الموصل - د.ت).
الشناوي، عبد العزيز.
- . الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، دار الفكر العربي، (القاهرة -1980).
شبانة، محمد كمال.
- . باب الشريعة، إحدى مداخل الحمراء، بحث منشور في مجلة دعوة الحق، العدد/ 6-7، السنة العاشرة، (1378هـ/1967م).
شيبال، مهدي عواد.
- . القضاء في مملكة غرناطة، (635-897هـ/1238-1492)، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب/جامعة بغداد، (بغداد -1408هـ/1987).
صفوت، محمد مصطفى.
- . السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، دار الفكر العربي، (القاهرة - 1948).
عاشور، سعيد عبد الفتاح.
- . أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار المعرفة للتأليف والنشر، (بيروت - 1964).
العبادي، احمد مختار.
- . الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات السلامية، مدريد، العدد/15، السنة/1970.
- . الحياة الدينية والدينية في مملكة غرناطة، مجلة المؤرخ العربي، العدد /6، (بغداد -1978).
عبد الحليم، رجب محمد.
- . العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا في عصر بني امية وملوك الطوائف، دار الكتب الاسلامية، (القاهرة - 1985).
عبد القادر، زمامة.

- . بنو الاحمر في غرناطة، مجلة البحث العلمي، العدد 26/، (الرباط -1976).
- عبد الله، خالد محمود.**
- . جهاد بني مرين في الاندلس (656-685 هـ / 1258-1286 م)، رسالة ماجستير (بغداد - 1410 هـ/1989م).
- . معاهدات الصلح بين الاندلس والممالك الاسبانية (635-897 هـ/1237-1492م)، اطروحة دكتوراه مقدمة الى كلية الاداب، جامعة بغداد، (1417 هـ/1996).
- عتيق، عبد العزيز.**
- . الادب العربي الاندلسي، دار النهضة للطباعة والنشر، ط1، (بيروت -1395 هـ/1975).
- عنان، محمد عبد الله.**
- . الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، لجنة التأليف والنشر، ط2، (القاهرة -1383 هـ/1961م).
- . ديوان التحقيق والمحاکمات الكبرى، مطبعة الكتب المصرية، (القاهرة - 1348 هـ/1930).
- . نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين (وهو العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الاندلس)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، (1378 هـ/1958م).
- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد.**
- . كيف ضاع الاسلام من الاندلس بعد ثمانية قرون، مأساة الفردوس المفقود (92-897 هـ/711-1492م)، دار الكتب القومية، دار الكتب القومية، (بيروت - 1993).
- فريد بك، محمد.**
- . تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة محمد افندي مصطفى، (القاهرة - 1314 هـ/1896م).
- فهمي، نعيم زكي.**
- . طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (اواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة - 1393 هـ/1973).
- كاردياك، لوك.**
- . قضية الموريسكيون بأمريكا، نقله الى العربية: عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، العدد/6، (تونس - 1976).
- كرباخ، جورج.**
- . عناصر المجتمع الاندلسي، مجلة افاق عربية، العدد الحادي عشر، (بغداد - 1302 هـ/1984).
- مؤنس، حسين.**
- . رحلة الاندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، (القاهرة -1385 هـ/1963م).
- مصطفى، احمد عبد الرحمن.**
- . اصول التاريخ العثماني، دار الشروق، ط1، (القاهرة - 1402 هـ/1982م).
- المياحي، عبد الحمزة محسن.**
- . العلاقات السياسية لمملكة غرناطة في القرن الثالث الهجري/الرابع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه، مقدمة الى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، (1416 هـ/1996م).
- نصر، حسين.**
- . الشعر في غرناطة في عهد بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة بغداد، (بغداد - 1989).
- اليوسف، عبد القادر احمد.**

. علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، منشورات المجلة العصرية، (بيروت –1969).

3. المراجع الأجنبية:

- Anwar , G. Chegne
, Historia De Espana Musulmana , Ediciones Catedro S.M., (Mardid –1980)
- Fullard , Harold
, Philips New School Atlas (London –1983).
- Pres cott , W.
, History of region of Ferdinand and Isabella , the Catholic , (London –1860).